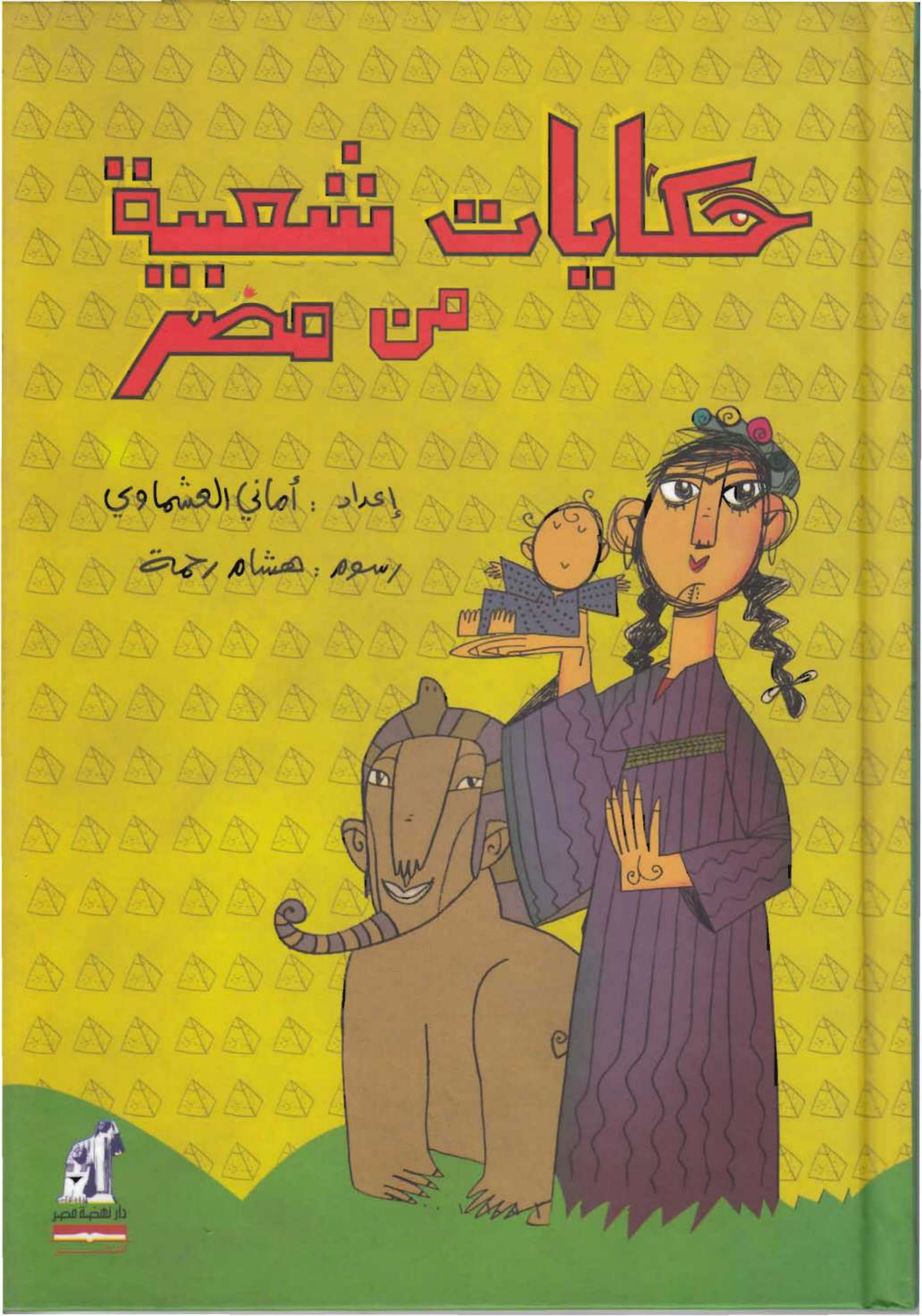
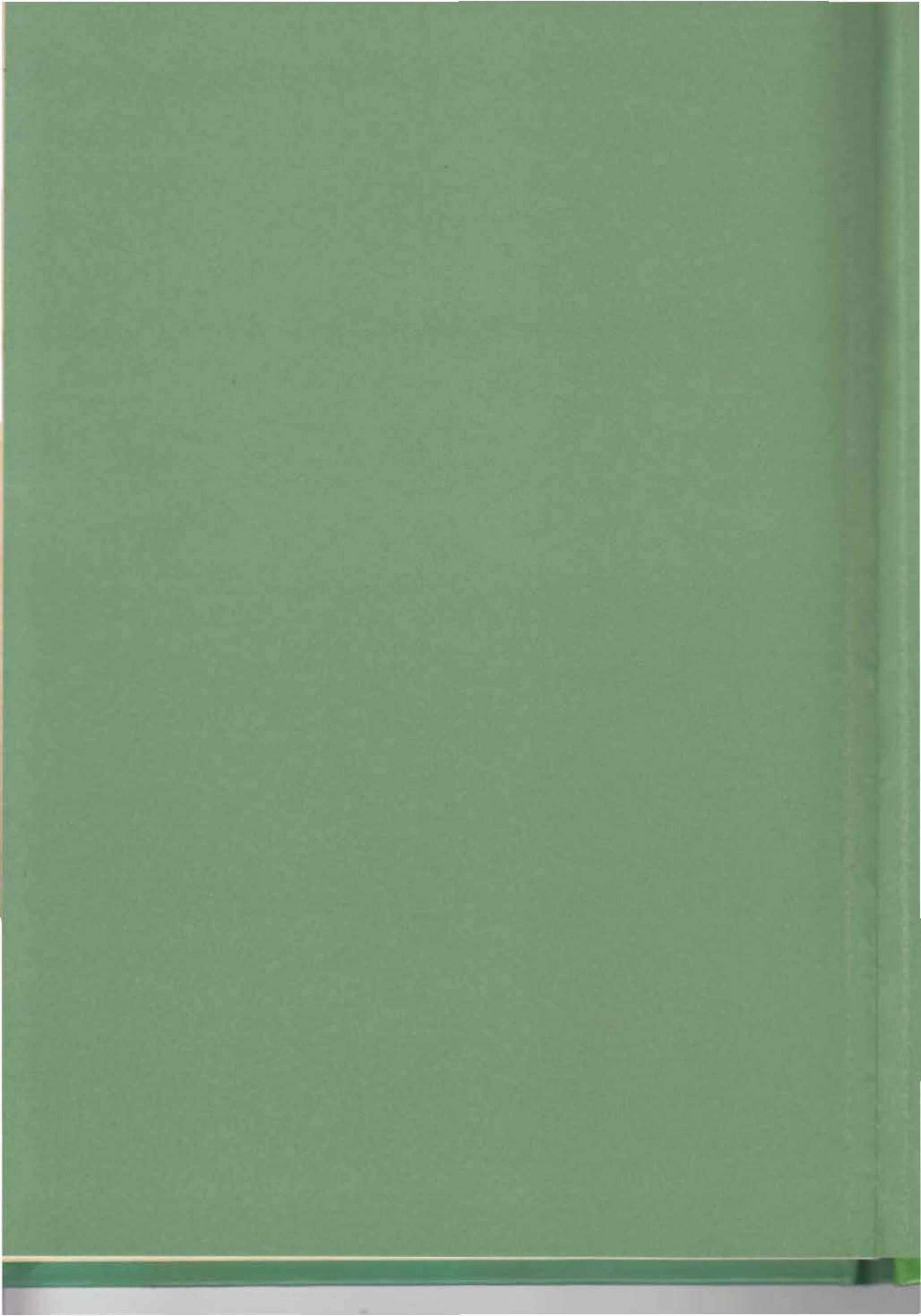

حكايات شعبية
من مصر
إعداد : أماني العشماوي
رسوم : هشام رحمة
دار نهضة مصر





إعداد : أماني العشماوي

رسوم : هشام رحمة



العنوان:
حكايات شعبية من مصر

إعداد:
أماني العشماوي

رسوم:
هشام رحمة

إشراف عام:
داليا محمد إبراهيم

الترقيم الدولي: 977-14-4470-0
رقم الإيداع: 2012/1756
الطبعة الأولى: فبراير 2012



أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938
21 شارع أحمد عرابي -
المهندسين - الجيزة

تليفون: 33466434 - 33472864 02
فاكس: 33462576 02
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com

المحتويـــات

سَحلول يَبْحثُ عَنْ حَظِّه



كَان يامَـا كَان، فـي زمـنٍ مـن الأزمـانِ.. كان هنـاك شـابٌّ مدللٌ اسـمُه سـحلول. كانَ لا يستمرُّ في عملٍ ولا يكسب في تجارةٍ ولا يحسنُ صنعةً.. وكلمـا ضاقَـتْ بـه الحالُ أو لامَـه الناسُ على خيبتـه، كانَ يعـودُ لأمِّه وأبيه ويقولُ لهما متحسِّرًا: «ماذا أفعلُ إذا كانَ هذا هو حظِّي في الحياةِ؟!».

ذاعَتْ أخبارُ كسـلِه وإهمالِه، فلم يعدْ أحدٌ يطلبُ إليهِ عملاً ولا يشـاركُه في تجارةٍ.. حتى جيرانُه ضاقوا به، ولم يعد هناك من يحتمِلُه إلا أمُّه وأبوه.

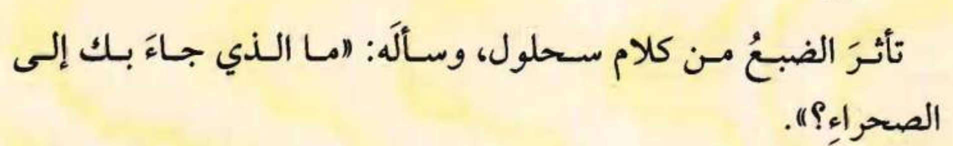
ومـرتِ الأيـامُ وماتت أمُّ سـحلول، ومـات أبوه.. ولم يعـدْ هناك من يتقبـلُ خيبتَه.. فقال لـه أحدُ الجيرانِ: «يابنيَّ اخـرجْ وابحثْ عن حظك في مكانٍ آخرَ».

خرجَ سـحلول من بلدِه وسـارَ فـي أرضِ الله من بلدٍ إلى آخـرَ، وكلما قابلَه أحـدٌ مـن الناسِ وعرفَ قصتَـه، قالَ له: «هناك عجوزٌ اسـمُها أمُّ وجدان، تعيشُ على جبل عتاقة، وتعرف كلَّ شَيءٍ، فاذهبْ واسألْها عن حظِّك».

قـررَ سـحلول أن يسـافرَ إلـى جبـلِ عتاقة ليسـألَ أمَّ وجدان عـن حظِّه.. فخرجَ إلى الصحراءِ، وسـارَ فيها يومًا وليلة. وفي صباحِ اليومِ التالِي، قابلَه

ضبعٌ جائعٌ، قالَ لـه الضبع: «سوفَ آكلكَ».

جلسَ سـحلول علـى الأرضِ وراحَ يبكـي وينـوحُ ويقـولُ: «ماذا أفعـلُ إذا كانَ حظّـي أن يأكلَنِـي الضبعُ في الصحراءِ؟!».



تأثـرَ الضبـعُ مـن كلام سـحلول، وسـألَه: «مـا الـذي جـاءَ بـك إلـى الصحراءِ؟».

قالَ سـحلول: «سـمعتُ أن عجوزًا اسـمُها أمُّ وجدان، تسكنُ على جبلِ عتاقة، تعرف كلَّ شيء، فكنت في طريقي لأسألَهَا عن حظّي».

قـالَ الضَّبـعُ: «لـن آكلَـك.. إذا وعدتني أن تسـألَها عـن دواءٍ لعلتي.. فأنا لا أشبعُ أبدًا».

وعدَه سحلول.. فتركَه الضبعُ يسيرُ في طريقه.

فـي اليوم التالـي بعدَ المغربِ، وصلَ سـحلول إلى مدينـةِ «الكيلانية»، فوجدَ بوابتَها موصدةً، فأخذَ يدقُّ عليها ويصيحُ: «افتحوا لي.. لا أسـتطيعُ أن أبيتَ خارجَ المدينةِ».

فتحَ له الحراسُ وأخذوه مقيدًا إلى الملِك.

قـال لـه الملكُ: «لماذا جئتَ من جهةِ الصحراءِ؟ ولماذا أردتَ أن تدخلَ المدينةَ بعدَ الغروبِ؟ لا بد أنك جاسوسٌ، ولا بدَّ أن نقتلَك».

جلسَ سحلول على الأرض، وأخذ يندبُ حظَّه ويقولُ: «ماذا أفعلُ إذا كانَ حظِّي أن أُقتلَ في مدينةِ الكيلانية؟!».

تأثرَ الملكُ من كلام سحلول، وسألَه عن سببِ حضورِه إلى المدينةِ.. فحكَى له سحلول حكايتَه، وقالَ له إنه كانَ في طريقِه ليسألَ أمَّ وجدان عن حظِّه.

قالَ له الملكُ: «سوفَ أسمحُ لك بالرحيلِ، إذا وعدتني أنْ تسألَ أمَّ وجدان عن سببِ مشكلتِي؛ وهي أن كلَّ المستشارينَ المخلصينَ يبتعدونَ عني ولا يقدمونَ لي النصيحةَ».

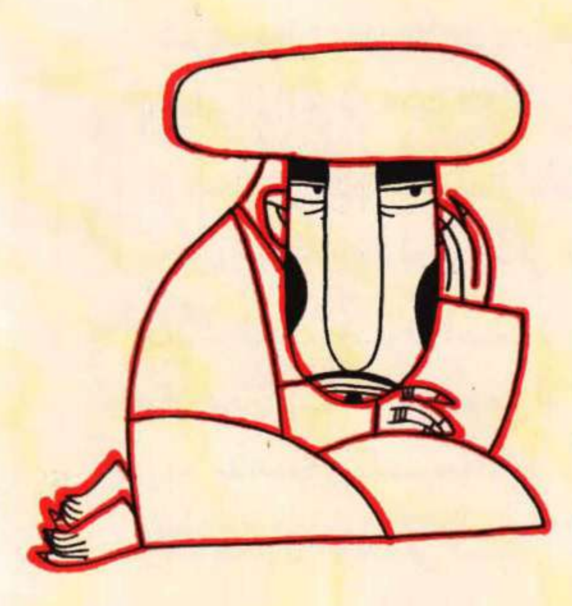
وعدَه سحلول.. وبات في المدينةِ، وخرجَ منها في الصباحِ.. وسارَ في طريقِه.

وصلَ سحلول إلى واحةِ «المهاة» وهو منهكٌ من الجوعِ والعطشِ، ورأى بستانًا له جدارٌ عالٍ يجلس على بابه ثلاثةُ إخوة.

بعدَ قليلٍ دخلَ الإخوةُ إلى البستانِ وتركوا بابَه مفتوحًا.. فدخل سحلول وشربَ من ماءِ النبعِ وأكلَ بعضَ الثمرِ.. ثم نامَ في ظلِ الجدارِ.

في الصباحِ، عثرَ عليه أصحابُ البستانِ، فأمسكُوه وقالوا له: «أنتَ لصٌّ جئتَ تسرقُ زرعَنا. سوف نأخذُك إلى القاضي ليحاكمَك».

قعدَ سحلول على الأرضِ وأخذَ يهزُّ رأسَه بأسى ويقولُ: «ماذا أفعلُ إذا كانَ حظِّي أن أتّهمَ بالسرقةِ وأعاقبَ في واحةِ المهاةِ؟!».



تأثـر الإخوةُ من كلام سـحلول، وسـألوه عـن قصتِـه، فحَكَـى لهـم حكايتَـه كاملـةً، وقـالَ إنـه كانَ في طريقِـه إلـى أمِّ وجدان ليسـألَهَا عن حظِّه.

قـالَ لـه الإخـوةُ: «سـوفَ نطلقُ سـراحَك إذا وعدْتنـا أن تسـألَ أمَّ وجدان عن سـرِّ بستانِنا، فنحنُ نكدُّ ونكـدحُ طـولَ العـام، ونعتنـي بـه ونسمِّدُه، لكنه لا يزهرُ ولا يثمرُ».

وعدَهم سحلول، فأطلقوا سراحَه وتركوه يسيرُ في طريقه.

وصـلَ سـحلولٌ إلى جبلِ عتاقة، وتسـلَّقه حتَّى وصـلَ إلى كهفٍ تجلسُ في مدخلِه عجوزٌ سـمراء، ترتدي رداءً أسـودَ، وعلى رأسِها طرحةٌ بيضاءُ.. وأمامَها نولٌ تنسجُ عليه بساطًا.

تقدم سحلول بترددٍ، وقالَ: «صباحُ الخير ياخالتي أمَّ وجدان».

رفعَـتِ العجـوزُ رأسَـها وتأمَّلَتْـه قليـلاً ثـم قالَـتْ: «يسْـعِد صباحَـك يا سحلول.. هل جئتَ تسألُني عن حظِّك؟».

تعجـبَ سـحلول، وقالَ: «نعـم يا خالتي.. فقد بحثْتُ عنـه في كلِّ مكانٍ ولم أجدْه.. ولكن، كيف عرفْتِ كلَّ ذلك؟!».

قالَـتْ أمُّ وجـدان: «ألا تعلـمُ يابني أَنَّ اسـمَ الإنسـانِ والطلب الذي جاء من أجله يظهران على وجهِه؟».

ظلَّ سحلول واقفًا لايتحركُ ولا يتكلمُ.. فقالَتْ له: «اجلسْ يا سحلول.. حظُّك يا بني أمامَك وتحتَ بصرِك طولَ الوقتِ، لكنَّك لا تراه.. إذا نظرْتَ أمامَك جيدًا، فسوفَ تجده».

شكرَها سحلول وهمَّ بالقيامِ، فقالَتْ له: «أليسَ لديك أسئلةٌ أخرى؟».

جلسَ سحلول مرةً أخرى وهو يقولُ: «نعم، نعم ياخالتي».. وسألَها عن دواءٍ لعلةِ الضبعِ، وعن سببِ مشكلةِ الملكِ، وسرٍّ بستانِ الإخوةِ.

تركت أمُّ وجدان النولَ، وأحضرَتْ دفترًا كبيرًا، طولهُ مترٌ وعرضُه نصفُ مترٍ، وراحَتْ تقلِّبُ صفحاتِه وتقرأُ، ثم تقلِّبُ الصفحاتِ وتقرأُ، ثم تقلِّبُ وتقرأُ.. وأخيرًا رفعَتْ رأسَهَا وقالَتْ: «اسمعْ مني جيدًا..

.. أما البستانُ، فمدفونٌ تحتَ أرضِهِ كنزٌ من ذهبٍ، يمنعُ الأشجارَ أن تزهرَ وأن تثمرَ..

.. وأمَّا الملكُ، فهو ليس ملكًا، وإنما هي ملكةٌ تتخفى في زي رجلٍ، وتُخْفِي ذلك عن مستشاريها.. لكنهم يعرفون الحقيقة.. لذلك لا يثقون فيها ولا ينصحونَها..



.. أمَّا الضبعُ، فعلاجُه أن يأكلَ أولَ رجلٍ مغفلٍ يمرُّ به، ولن يجوعَ بعد ذلك أبدًا».

شكرَها سحلول، وهبطَ الجبلَ، وعادَ من الطريق التي جاءَ منَها.. حتى وصلَ إلى واحةِ المهاةِ، وأخبرَ الإخوةَ بما قالته أمُّ وجدان.

قامَ الإخوةُ يحفرون البستانَ حتى عثروا على أربَعِ جرارٍ من الذهبِ. فعرضُوا على سحلول أَنْ يأخذَ جرةً منها، أو أن يعيشَ معهم ويشاركَهم في البستانِ.. اعترافًا منهم بفضلِه في معرفةِ سرِّ البستانِ.

لكنَّ سحلول رفضَ بشدةٍ، وأصرَّ على الرفضِ قائلاً: «لقد قالَتْ لي الخالةُ أمُّ وجدان إن حظِّي كانَ أمامي طولَ الوقتِ؛ لذلك سأعودُ إلى بلدِي لأبحثَ عنه هناك!».

فودَّعه الإخوةُ، وتابعَ طريقه التي جاءَ منها.. حتى وصلَ إلى مدينةِ الكيلانية، وقابلَ الملكةَ وأخبرَها بما قالتْهُ أمُّ وجدان.

قالَتْ له الملكةُ: «هذا صحيحٌ.. سوفَ أعترفُ لهم الآن».

ثمَّ عرضَتْ عليه أن يتزوجَها ويصبحَ هو الملكَ، ويديرَ أمورَ البلادِ بنفسِه، ويستعينَ بهؤلاءِ المستشارينَ المخلصينَ، وسوفَ يعاونونَه اعترافًا منهم بفضلِه في حلِّ المشكلةِ.

رفضَ سحلول بشدة، وأصرَّ على الرفضِ قائلًا: «قالَتْ لي الخالةُ أمُّ وجدان إن حظِّي كانَ أمامي طولَ الوقتِ.. لذلك سأعودُ إلى بلدي وأبحثُ عنه هناك»!!

فودَّعته الملكةُ، وتابعَ طريقَه التي جاءَ منها.. حتَّى وصلَ إلى الصحراءِ.. وقابلَ الضبعَ وحكَى له كلَّ ما مرَّ به في رحلتِه من أولِها إلى آخرِها.

وقالَ له: «تقولُ الخالةُ أمُّ وجدان إنك سوفَ تُشْفَى من علتِك إذا أكلْتَ أولَ رجلٍ أحمقَ يمرُّ بك».

قالَ له الضبعُ: «والله إنك أحمقُ رجلٍ رأيتُه في حياتي.. كيفَ تتوقعُ أن تعثرَ على حظِّك، وقد رفضْتَ أن تتزوجَ الملكةَ وأن تُصبِحَ ملكًا على البلادِ.. ورفضتَ أن تقبلَ هديةَ أصحابِ البستانِ وأن تشاركَهم في بستانِهم؟!».

ثم هجمَ عليه وأكلَه!

لولَيَّة



كان ياما كان.. في سـالفِ العصرِ والأوانِ.. كانَ سـلطانُ البرينِ وزوجتُه السـلطانةُ يعيشـان في سـعادةٍ وهنـاءٍ، لا يعكرُ صفـوَ حياتِهمـا إلا أنهمَا لم يرزقا بأبناءٍ. فكانَتِ السـلطانةُ تدعو ربَّهَا كلَّ يومٍ وكلَّ ليلةٍ أَنْ يرزقَهَا بذريةٍ تُفْرِحُ قلبَهَا وتملأُ عليها حياتَهَا.

وفـي إحـدى الليالـي، ظلَّـتِ السـلطانةُ تدعـو رَبَّهـا بعـدَ صلاةِ العشـاءِ وتتضـرعُ.. ثم نـذرَتْ إن أكرمَها الله بابنٍ، أن تقـدمَ لفقراءِ البلادِ حوضًا من السمنِ وحوضًا من العسلِ، كلما فَرَغا مَلَأَتْهما مرةً أخرى، مدةَ شهرٍ كاملٍ.

ومـرَّتِ الأيامُ، وحملَتِ السـلطانةُ ثم وضعَتْ وَلـدًا جميلاً بهيَّ الطلعةِ، فرِحَ به أبوه وسماه يوسف.

ومرَّتِ الأيامُ، وانشـغلَتِ السلطانةُ بالعنايةِ بابنِها يوسف ونسيَتْ نذْرَهَا الذي نذرَته.. وكبرَ يوسفُ وأصبحَ عمرُه أربعَ عشرةَ سنةً.. وفجأةً أصابه مرضٌ احتارَ الأطباءُ في علاجِه، فضعفَ جسمُه وفقدَ الرغبةَ في الأكلِ أو اللعبِ.

كانَـتْ أمُّه السـلطانةُ تسـهرُ الليلَ، ترعـاه وتمرضُه وتدعـو الله أن يمنَّ عليهَا ويشفيَ لها ابنَها. وأعلنَ السلطانُ أنه سيقدمُ جائزةً قيمةً لمن يتمكنُ من علاجِه.

ذاتَ يـوم جـاءَتِ امـرأة عجوزٌ إلـى القصرِ، وقالَـتْ للحـرسِ إنها تريدُ مقابلةَ السـلطانةِ بشـأن الأميرِ يوسـف. فأدخلَتْها السلطانةُ وسـألَتْها بلهفةٍ: «هلْ عندَكِ علاجٌ لمرضِ ابني؟».

قالَتِ العجوزُ: «لا بدَّ أن أراه أولاً».

دخلَتِ العجوزُ غرفةَ الأمير يوسف، وتفحصَتْه قليلاً، ثم همَستْ بأذنِه قائلةً: «قل لأمِّكَ أَنْ تفيَ بالنذرِ الذي نذَرَتْه».. ثم استدارَتْ وخرجَتْ من الغرفةِ دونَ أن تتكلمَ.

أسرعَتِ السلطانةُ وسألَتْ ابنها عمَّا همسَتْ به العجوزُ، فأجابَها يوسف: «قالَتْ لي: قل لأمِّكَ أَنْ تفيَ بالنذرِ الذي نذرَتْه».

عنـدَ ذلـك تذكَّرتِ السـلطانةُ نذرَهَا وخجلَـتْ من نفْسِـها.. وفي الحال أمـرَتْ بإعـدادِ حوضيـنِ كبيرينِ في سـاحةِ القصـرِ، ملأتْ أحدَهما سـمنًا والآخـر عسـلاً. وكانَتْ تملؤهمـا كلمَا فرغَا حتى مرَّ الشـهرُ كاملاً.. وفعلاً تعافى يوسف وتحسنَتْ صحتُه وعادَ إلى نشاطِه ومرحه السابقِ.

كانـتِ المـرأةُ العجوزُ قد سـافرَتْ لزيارةِ ابنتهَا في بلـدةٍ أخرى، وعادَتْ مـن سـفرها في اليـوم الأخيـرِ مـن الشـهرِ، فعلمَتْ بأمـرِ حوضي السـمنِ والعسـلِ، فأسرعَتْ إلى ساحةِ القصرِ لتملأ جرتيهَا.. لكنهَا وصلَتْ متأخرةً ووجـدَتِ الحوضَيْـنِ فارغيـنِ.. فراحـتْ تجمـعُ المتبقـيَ علـى أطـرافِ

الحوضينِ بيدِها وتضعُه في جرتَيْها حتى ملأتْ نصفَهُما، وهمَّتْ بالانصرافِ.. فتعثرَتْ قدمُها في درجة السلمِ وسقطَتْ منهَا الجرتانِ، وانكسرتَا، وسالَ السمنُ والعسلُ على الأرضِ.. ووقعَتِ العجوزُ إلى جوارِ الجرتينِ تندبُ حظَّهَا السيئَ، وتقولُ: «بماذَا أدعُو عليك يا يوسف؟! سوف أدعو أن يبتليكَ الله بحبِّ لُولِيَّة».

كانَ الأميرُ يوسف يراقبُها من بعيدٍ، ورأى ما حدثَ، فتأثرَ لحالِهَا وأسرعَ لمساعدَتِها، وأمر عمالَه أَنْ يجهزوا لها جرتينِ مملوءتينِ سمنًا وعسلاً بدلاً من الذي ضاعَ منهَا.. وقدمهمَا لهَا بنفسِه، لكنَّه سمعَهَا وهي تدعُو عليه بحبِّ لولِيَّةَ.. فسألهَا: «من هي لولِيَّةُ، التي دعوتِ الله أن يبتلِيني بحبِّها؟».

قالَتْ: «إنها أجملُ وأذكى وأمهرُ فتاةٍ في بلادِ الله، لكنَّ الوصولَ إليها من المستحيلاتِ».

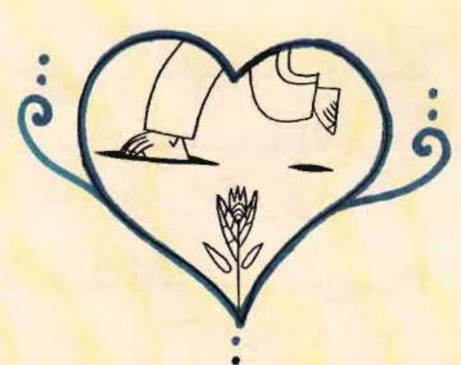
عادَ يوسف إلى قصرِ أبيهِ مشغولَ البالِ بأمرِ لولِيَّة.. وظلَّ يفكرُ فيها حتى بلغَ التاسعةَ عشرةَ من عمرِه.. فقالَ له أبوه: «لقد حانَ الوقتُ لتتزوجَ يا يوسف».

وقالَتْ أمُّه: «سوفَ أبحثُ لك عن فتاةٍ صالحةٍ لتكونَ زوجةً لكَ وأُمًّا لأبنائِك وسلطانَةً على البلادِ من بعدي».

فقالَ لهما يوسفُ: «إنني لن أتزوجَ إلا لولِيَّة».

فزعَتْ أمُّه وقالَتْ: «مَنْ حدَّثَك عنهَا يا ولدي؟ إنك تطلبُ المستحيلَ!».

قالَ يوسف: «سأبحثُ عنهَا حتى أجدَها وأتزوجَها، ولَنْ أتزوجَ غيرَها».



أرسلَ السلطانُ رسلَه في طولِ البلادِ وعرضِها، ليسألوا الناسَ عن لوليَّة. فلم يجدْ أحدًا يعرفُ عنهَا شيئًا.

لكن يوسف ظلَّ مصممًا على الزواج من لوليَّة، وكانَ يجيبُ كلَّ مَنْ يسألُه أينَ سيجدُها: «سأبحثُ عنهَا في مشارق الأرضِ ومغاربِها حتى أجدَها».

فلما رآه أبوه مصممًا على رأيه، وافقَ على مضضٍ أن يسمحَ له بالرحيلِ، وقالَ له: «اذهبْ في رعايةِ الله».

جهَّزَتِ السلطانةُ ابنَها يوسف بكلِّ ما يحتاجُ إليه المسافرُ، وودعَتْه عندَ الفجرِ وهي تدعوُ الله أَنْ يحفظَه ويعيدَه بالسلامةِ.

وهكذا انطلقَ يوسفُ في طريقِه، وسارَ أيامًا وليالي.. حتى وصلَ إلى مفترق طرقٍ. ووجدَ عندَه غولةً تقعدُ في الشمسِ وتسدُّ الطريقَ.. شعرُهَا أشعثُ وأسنانُها بارزةٌ والشررُ ينطلقُ من عينيها.

قالَ لها يوسف: «السلامُ عليكِ يا أمَّنا الغولةَ».

ابتسمَتِ الغولةُ، فظهرَتْ أسنانُها كلُّها وقالَتْ: «لولا سلامك سبَق كلامك، لكنتُ أكلْتُ لحمَك ومصمصتُ عظامَك.. تعالَ وارفَعْني من مكاني وأجلِسْني في ظلِّ الشجرةِ».

قالَ يوسف: «أمرُكِ يا أمَّنا الغولةَ»، ثم حملَها وأجلَسَها في الظلِّ.

قالَتْ له: «إلى أينَ أنت ذاهبٌ أيها الشابُّ الطيبُ؟».

قالَ: «أبحثُ عن لوليَّة».

قالَـت: «الطريـقُ إليهَا كلُّه مخاطر؛ فقد حبسَـها الغولُ في برجٍ عالٍ ليسَ له سـلالمُ.. لكني سـوفَ أسـاعدُك.. اذهبْ في هذا الطريقِ حتى تصلَ إلى مفترقِ طرقٍ آخرَ.. ستجدُ عندَه أختي الأكبرَ مني».

ثم أعطَته مشـطًا وقالَتْ له: «إذا صادفْتَ صعابًا لا تسـتطيعُ التغلبَ عليها بالمهارة ولا بالحيلة؛ فاقذفْ هذا المشطَ خلفَكَ.. فسوف ينفعُك».

أخذَ يوسـف المشـطَ وشـكرَها، وتابعَ طريقَـه، حتى وصـلَ إلى مفترق الطـرق الثانـي. ووجد عنـده الغولةَ الأكبرَ تجلسُ في ظلِّ شـجرةٍ، شـعرُها أشعثُ، وأسنانُها بارزةٌ، والشررُ ينطلقُ من عيْنيها.

قالَ يوسف: «السلامُ عليك يا أمَّنا الغولةَ».

قالَـتْ: «لولا سـلامُك سـبَق كلامَك، لكنْتُ أكلْـت لُحمَك ومصمصتُ عظامَك.. اهبطْ في هذه البئرِ القريبةِ، وأحضرْ لي ماءً لأشربَ».

قالَ يوسف: «أمرُك يا أمَّنا الغولةَ».

تعلَّـقَ يوسـفُ بحبـلِ البئـرِ ونزلَ فيهـا.. ثم ملأَ الدلـوَ ماءً وعـادَ به إلى الغولةِ.. فشربَتْ حتى ارتوَتْ وقالَتْ له: «إلى أينَ أيها الشابُّ الكريمُ؟».

قالَ: «أبحثُ عن لوليَّة».

قالَـتْ: «الطريـق إليها كلُّه مخاطرُ، ولا يسـتطيعُ الوصولَ إليها إلا الغولُ الكبيـرُ. لكني سـوفَ أسـاعدُك.. اذهبْ في هـذا الطريقِ، حتى تجـدَ أختنَا الكبرَى عندَ مفترقِ الطرقِ القادمِ، وسوفَ تساعدُك هي كذلكَ».

ثم أعطته مشـطًا آخر وقالَتْ له: «إذا صادفْتَ صعابًا لا تسـتطيعُ التغلبَ عليها بالمهارةِ ولا بالحيلةِ؛ فألقِ هذا المشطَ وراءَك، فسوفَ ينفعُك».

أخذ يوسـف المشـطَ وشـكرَ الغولةَ، وسـارَ فـي طريقِه حتـى وصلَ إلى مفترَقِ الطرقِ، ووجدَ عندَه الغولةَ الكبرى. كانَ شـعرُها أشـعثَ وأسـنانُها بارزةً والشررُ ينطلقُ من عينيهَا.

فقالَ لها يوسف: «السلامُ عليك يا أمَّنا الغولةَ».

قالَـتْ: «لولا سـلامك سـبَق كلامَك، لكنتُ أكلْـتُ لحمَك ومصمصتُ عظامَـك.. اذهـبْ واجمـعْ لـي حطبًا وأشـعلِ النارَ فـي الموقـدِ واطبخْ لي عصيدةً».

قالَ يوسـف: «أمرُكِ يا أمَّنا الغولةَ».. وذهبَ بعيدًا وجمعَ حطبًا، وأشعَلَ النارَ في الموقدِ، وطبخَ لها عصيدةً.

قالتِ الغولةُ: «إلى أينَ أيُّها الشابُّ الشهمُ؟».

قالَ يوسفُ: «أبحثُ عن لولِيَّة».

قالـتِ الغولـةُ الكبـرى: «الطريـقُ إليهـا كلُّهُ مخاطـرُ.. وسـوفَ يطاردُك الغولُ، وإن أمْسـكَكَ فسـوفَ يأكلُك.. لكني سـوفَ أساعدُك.. سر في هذا الطريقِ حتى تجدَ برجًا عاليًا من المرمر.. إنه بيتُ لولِيَّة».

ثم أعطته ثلاثةَ أمشاطٍ وقالَتْ له: «إذا صادفْتَ صعابًا لا تستطيعُ التَّغَلُّبَ عليهَا لا بالمهارةِ ولا بالحيلةِ؛ فارمِ مُشطًا خلفَكَ، فسوفَ ينقذُك».

أخذَ يوسـفُ الأمشـاطَ وشـكرَها، واسـتمرَّ في طريقِه.. حتى وصلَ إلى

برج عالٍ مبني من المرمرِ، فدارَ حولَه فلم يجدْ له سلالمَ ولا أيَّ شيءٍ يمكنُهُ من التسلقِ عليه. ورأى في أعلَى البرجِ نافذةً واحدةً كبيرةً.. وبعد قليلٍ، سمعَ وقعَ خطواتٍ تهزُّ الأرضَ، فاختبأ خلفَ شجرةٍ كبيرةٍ وراحَ يراقبُ الطريقَ.

اقتربَ من البرجِ غولٌ كبيرٌ متوحشٌ، ومعه غولٌ آخرُ يشبهُه تمامًا لكنه أصغرُ منه.. وقفَ الغولُ الكبيرُ ينادي: «دَلِّي شعورَكِ يا لولِيَّة. دَلِّي شعورَكِ يا لولِيَّة».

أطلَّتْ من النافذةِ فتاةٌ جميلةٌ رقيقةٌ، فلما رأتِ الغولَ، دَلَّت ضفيرتَها السوداءَ الطويلةَ، حتى وصلَتْ من النافذةِ إلى الأرضِ، فتسلَّقَ عليها الغولُ حتى وصلَ إلى النافذةِ ودخلَ منها.. ثم تبعَه ابنهُ حتى دخلَ هو الآخر.

انتظرَ يوسفُ ساعةً وساعتين وثلاثَ ساعاتٍ.. ثم رأى لولِيَّة تدلي ضفيرتَها مرةً أخرى، فيهبطُ عليها الغولُ الكبيرُ ويتبعُه الغولُ الصغيرُ. ووقفا ينتظرانِ حتى سحبتْ لولِيَّة ضفيرتَها وأغلقَتِ النافذَةَ، فانصرفا.

خرجَ يوسفُ من خلفِ الشجرةِ ووقفَ تحتَ النافذةِ، ونادى: «دَلِّي شعورَكِ يا لولِيَّة.. دَلِّي شعورَكِ يا لولِيَّة».

ففتحَتِ الفتاةُ النافذَةَ ودلَّتْ ضفيرتَها.. فتسلَّقَ عليها يوسُف حتى دخلَ من النافذةِ.

فزعَتِ الفتاةُ وقالَتْ: «بسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ.. من أنتَ؟ إنسٌ أم جنٌّ؟».

قالَ: «أنا الأميرُ يوسف، ابنُ سلطانِ البرينِ.. سمعْتُ عنكِ وأحببتُك، وأريدُ أن أتزوجَك.. وبحثْتُ عنك حتى وجدْتُك.. لماذا يحبسُك الغولُ في هذا البرجِ؟».

قالَـتْ لولِيَّـة: «أنا بنتُ سـلطانِ البحريـنِ، وهذا الغـولُ أرادَ أن يزوجَني ابنَـه، لكـنَّ أبي رفضَ، فخطفَني الغولُ وحبسَـنِي هنا؛ حتـى أكبرَ ويزوجَني ابنَهُ»..

ثم بكَتْ وقالَتْ: «وقد جاءَ اليومَ ليبلغَني عن موعدِ زواجي من بابنِهِ».

قالَ يوسف: «إذن، لا بد أنْ نهربَ اليومَ.. هيَّا بنا حالاً».

قالَتْ لولِيَّة: «انتظرْ.. لابدَّ أنْ نحتفلَ أولاً بليلةِ الحناءِ، ويحتفلَ معنا كلُّ ما في البرجِ.. سـوفَ أعجنُ الحناءَ. وأُحَنِّي بها كلَّ الأشـياء التي في البرجِ، حتى ترضَى، ولا تُبْلِغ الغولَ بما حدث».

وهكذا عجنَتْ لولِيَّة حناءَ وحنَّت بها كلَّ ما في البرجِ من أثاثٍ وأدواتٍ، لكنَّهـا من تعجُّلِها وخوفِها من عودَة الغولِ نسـيَتْ أن تحنِّـيَ الدُّفَّ المعلقَ على مسمارٍ خلفَ البابِ.

فـي الوقتِ نفسِـه، جمعَ يوسـف كلَّ ما في البرجِ مـن ملاءاتٍ وملابسَ، وصنعَ منها حبلاً طويلاً، ربطَه في السـريرِ ودلاَّه من النافذةِ.. ثم هبطَ به هو ولولِيَّة إلى الأرضِ، وانطلقَا عائدَيْن إلى بلادِه.

فـي اليـومِ التالي، جاءَ الغولُ الكبيـرُ وابنهُ ووقفَ ينادي: «دلِّي شـعورَك يا لولِيَّة.. دلِّي شعورَك يا لولِيَّة». فلم ترد.

لاحظَ الغولُ الحبلَ المتدلي، فتسـلَّقه هو وابنهُ ودخلا من النافذِة وبحثَا عن لولِيَّة في كلِّ مكانٍ.. فلم يجداها.

سألَ الغولُ الأشياءَ، شيئًا شيئًا: «أين ذهبَتْ لولِيَّةُ؟».

فلـم يجبـه أحـدٌ، حتى وصـلَ إلى الـدُّفِّ المعلـقِ خلفَ البابِ وسـأله: «أينَ ذهبَتْ لوليَّة؟».

قالَ الدُّفُّ: «طُبُّلْ طار.. طُبُّلْ طار.. أخذها ابنُ السلطانِ وطار».

صرخَ الغولُ صرخةً عظيمةً، فارتج البرجُ وانهارَ، فخرجَ الغولُ وابنُه من تحـتِ الأنقاضِ، وانطلقا وراءَ يوسـف ولوليَّة.. فكانـا يركضان ليلاً ونهارًا ولا يتعبان، حتى اقتربا منهما، بعد يومينِ وليلتيْن.

نظرَتْ لوليَّة خلفَها وقالَتْ: «لقد اقتربَ الغولُ يا يوسف.. فماذا نفعلُ؟».

قالَ يوسـف: «لا تخافي».. وألقى المشـطَ الأولَ خلفَه، فظهرَ في الحالِ حقلٌ طويلٌ عريضٌ من الشوكِ، فصل بينهما وبين الغولِ وابنه.

اطمأنت لوليَّة، وتابعا سيرَهما..

قـالَ الغـولُ لابنهِ: «اقلعْ يا ابني وأنا أقلعُ.. اقلعْ يا ابني وأنا أقلعُ».. وظلا يقلعـان الأشـواكَ مـن الأرضِ ويرمِيانها بعيـدًا، حتى انتهى الحقـلُ، فتابعا ركضَهما وراءَ يوسف ولوليَّة.



فـي اليومِ التالي، نظـرَتْ لوليَّة خلفَها وقالَـتْ: «اقتـربَ الغـولُ مـن جديـدٍ يا يوسف.. ماذا نفعلُ؟».

قـالَ يوسـف: «لا تخافـي».. وألقـى المشـطَ الثاني خلفَه.. فظهرَ بينهما وبين الغـولِ وابنـه حقـلٌ طويـلٌ عريـضٌ من النارِ، فاطمأنا وتابعا سيرَهما.

قالَ الغولُ لابنه: «انفخْ يا ابني وأنا أنفخُ.. انفخْ يا ابني وأنا أنفخ».. وظلاَّ ينفخان في النارِ حتى انطفأت.. ثم تابعا ركضهما وراءَ يوسف ولولِيَّة.

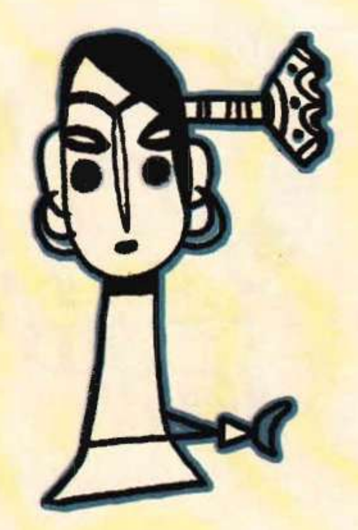
في اليوم الثالثِ، نظرَتْ لوليَّةُ خلفَها وقالَتْ: «اقتربَ الغولُ يا يوسف.. ماذا نفعلُ؟».

ألقى يوسفُ المشطَ الأخيرَ خلفَه.. فظهرَ بينهما وبينَ الغولِ وابنهِ بحرٌ كبيرٌ طويلٌ عريضٌ من المياهِ.

قالَ الغولُ: «اشربْ يا ابني وأنا أشرب.. اشربْ يا ابني وأنا أشرب».. وظلاَّ يشربانِ ويشربانِ.. حتى انفجرا من كثرةِ الماءِ في جوفيهما.. وماتا..

وهكذا ارتاحَ يوسف ولولِيَّة من مطاردةِ الغولِ وابنِه.. فجلسا يستريحانِ قليلاً بعد كلِّ ذلك العناء.

قعدَتْ لولِيَّة على الأرضِ وأسندَتْ ظهرَها إلى جذع شجرةٍ، ووضعَ يوسف رأسَه على حجرِها ونامَ، وبقيت هي تحرسُه.. لكن النومَ غلبها هي أيضًا من شِدة التعبِ.. فنامَتْ.



بينما كانَ يوسف ولولِيَّة نائمين، اقتربَ رخٌّ عظيمٌ منهما، وحلَّق فوقَهما، ثم هوى فجأةً.. واختطفَ يوسفَ وطارَ.

استيقظَتْ لولِيَّة فزعَةً، وراحَتْ تنادِي يوسف وتترجَّى الرخَّ أن يعيدَه إليها.. لكنه طارَ بعيدًا بعيدًا.

سـارَتْ لولِيَّة على قدميها أيامًا وليالِيَ، حتى وصلَتْ إلى قصرِ السـلطانِ أبي يوسف، وطَلَبَتْ مقابلةَ السلطانةِ لأمرٍ ضروريٍّ يخصُّ ابنَهَا يوسف.

قابلتهـا السـلطانةُ وسـألتها عما تريـدُ.. فحكتْ لهـا حكايتَهـا كاملةً مع يوسف والغولِ وابنهِ، ثم مع الرخِّ.

لكـن السـلطانةَ ارتابَـتْ فـي كلامِهـا وفكـرَتْ أن تطردَهـا. ثـم عـادَتْ وأشفقَتْ عليها، وأمرَتْ أَنْ يقدموا لها طعامًا ويتركوها تنامُ في البستانِ.

فـي منتصـفِ الليلِ، بينما الجميعُ نيامٌ، جاءَ الرخُّ حاملاً يوسـف، فأوقفَه على إحدى النوافذِ وتركَه وطارَ وحلَّق حولَ القصرِ.

نادَى يوسف قائلاً: «كيفَ حالكِ في بيتِ أبي يا لولِيَّة؟».

قالَتْ لولِيَّة: «تحتي تراب وفوقي تراب.. نومُ الكلابِ يا يوسف».

هبطَ الرخُّ وحملَ يوسف وطارَ به بعيدًا.

في الصباح طلبَتْ لولِيَّة مقابلةَ السلطانةِ، وحكتْ لها ما حدثَ في الليلةِ السـابقةِ.. فأمـرتِ السـلطانةُ أنْ يفرشـوا لها حصيرًا، ويسـمحوا لها بالنـومِ في الفناءِ.. وأمرَتِ الحراسَ بمراقبتِها.

فـي الليلـةِ التاليةِ، جـاءَ الرخُّ في منتصفِ الليلِ وأوقفَ يوسف على حافـةِ النافـذةِ وتركَـهُ وطـارَ وحلَّق حولَ القصرِ.



نادَى يوسف قائلاً: «كيفَ حالكِ في بيتِ أبي يا لولِيَّة؟».



قالَتْ: «تحتي حصير وفوقي حصير.. نوم الأسير يا يوسف».

ثم عادَ الرخُّ وحملَهُ بعيدًا.

في اليوم التالي تأكدَتِ السلطانةُ من روايةِ لولِيَّة، فأكرمَتْها وألبسَتها ثيابَ الأمراءِ، وسمحَتْ لها أن تأكلَ معها. وفي المساءِ، طلبَتْ منها أن تنامَ في الغرفةِ التي يأتي إليها الرخُّ كلَّ ليلةٍ، وأعطتْهَا سيفًا بتارًا.

في منتصفِ الليلةِ، جاءَ الرخُّ وأوقفَ يوسف على حافةِ النافذةِ وتركَه وطارَ وحلَّقَ حولَ القصرِ.

نادى يوسف قائلاً: «كيف حالكِ في بيتِ أبي يا لولِيَّة؟».

قالَتْ: «تحتي حرير وفوقي حرير.. نوم الأمير يا يوسف».

عادَ الرخُّ وهمَّ أن يحملَ يوسف.. لكن لولِيَّة ضربَتْه بالسيفِ ضربةً قويةً، فقتلَتْه.. ونزلَ يوسف من حافةِ النافذةِ.. وأقبلَتْ عليه لولِيَّة، وجاءَتْ أمُّه، وجاءَ أبوه فرحينِ بعودتِه.. واجتمعَ حولَه من في القصرِ جميعًا، يرحبون به ويحمدون الله على سلامتِه..

وأرسلَ سلطانُ البرين المراسيلَ إلى سلطان البحرينِ ليطمئنَه أَنَّ الله نجَّى ابنتَه من الغولِ وابنَه، ويطلبُ موافقتَه أن تتزوجَ ابنَه يوسف.

فرِحَ سلطانُ البحرينِ بنجاةِ ابنتِه لولِيَّة، وأرسلَ مراسِيلَهُ بموافقته على الزواج وبالهدايا.

وقامَتِ الأفراحُ والليالي الملاحُ وامتلأ القصرُ بالناسِ من كلِّ أنحاءِ البلادِ؛ فقرائهم والأغنياءِ، يأكلونَ ويشربونَ أربعينَ يومًا وأربعين ليلة.. وعاش يوسف ولولِيَّة في تبات ونبات، وأنجبا الأولادَ والبنات.

الرجلُ الذي باعَ لحيتَهُ



كانَ سـعد اللـه وفتح اللـه تَاجِرينِ يسـكنانِ في حارةٍ واحـدةٍ. وكانَ كلٌّ منهمَا يملكُ دكانًا علَى ناصيةِ الحارةِ. كانَ سـعد الله لا يكسـبُ منْ تجَارتِهِ إلاَّ مَـا يكفِـي قوتَهُ. وبالرغمِ منْ فقرهِ وبسـاطةِ مظهره، كانَـتْ لحيتُهُ الكثيفةُ السوداءُ محلَّ إعجابِ الناسِ، ومصدَر فخرهِ واعتزازهِ.

أمَّـا فتـح اللـه، فكانَ دكانُهُ أكبَر وأوسـعَ مـنْ دكانِ صَاحبـهِ. وكانَ رجلاً طويلاً عريضًا، عاليَ الصوتِ.. لكنَّهُ كانَ حليقًا بلاَ لحيةٍ.

اعتـادَ الرجلانِ أنْ يجلسَـا متجاورينِ أمامَ دكانيهِمَـا، يتابعَانِ أعمالهُمَا.. ويتحدثَانِ.

كانَ فتـح اللـه يتحـدثُ طـولَ الوقـتِ عـنْ تجارتِـهِ وأموالِهِ وعـنِ البيعِ والشراءِ.

أمَّا سعدُ الله، فكانَ دائمَ الحديثِ عنْ سوءِ حظهِ وقلةِ رزقهِ.. وعنْ آمالهِ في الغِنى والثراءِ.

وفِـي أحـدِ الأيامِ.. راحَ سـعد الله، كعادتـهِ، يندبُ حظَّهُ ويقـولُ: «لوْ أنَّ

عندِي شـيئًا ذَا قيمةٍ؛ لبعتُهُ وتوسـعتُ فِي مسْـكنِي وتجارتِي. لكني لاَ أملكُ إلاَّ هَذا الدكانَ، وليسَ عندِي مَا يزيدُ علَى حاجتِي، فأستغنِي عنهُ وأبيعهُ».

فقـالَ لـهُ فتح الله: «إنَّ لحيتَكَ تزيـدُ علَى حاجتِكَ. يمكنُـكَ أنْ تبيعَهَا.. وأنَا علَى استعدادٍ لشِرائهَا».

قالَ سعد الله متعجبًا: «لماذَا تريدُ شراءَ كومةٍ من شعرِ اللحيةِ؟!».

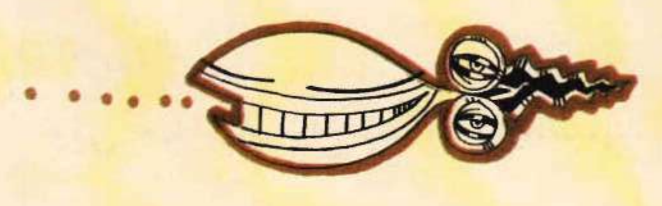
أجابَـهُ فتـحُ اللـه: «أقصـدُ شـراءَهَا دونَ أن تحلقَهَـا.. تحتفـظُ بهَـا علَى وجهِـكَ، لكنَّها تصْبحُ ملِكي.. أفعلُ بهَا مَـا أريدُ وتفقدُ أنتَ حريةَ التَّصرُّفِ فيهَا.. حتَّى إذَا أبدَى لكَ أحدُ الناسِ إعجابَهُ بهَا، تردُّ عليهِ قائلاً: إنَّهَا ليستْ لحيتِي، إنَّها لحيةُ فتح الله».

قالَ سعد الله: «لاَ مانعَ عندِي أبدًا.. المهمُّ أنْ أحصلَ علَى المالِ».

فتدخَّـلَ فِـي الحديثِ عمُّ صبحِـي اللبانُ، وقالَ محذرًا سـعدَ الله: «إياكَ أنْ تبيعَ لحيتَكَ».

قـالَ سـعد الله باسـتهانةٍ: «لماذاَ لاَ أبيعُهَـا؟! أيُّ ضررٍ يصيبنِـي إذَا بعتُ لحيتِي لصديقِي؟!».

سـمعَ البائعونَ منْ حولِهـمْ هَذا النقاشَ، فتجمعُـوا، وتجمعَ معهُم بعضُ المارةِ منْ سـكانِ الحارةِ، واشتركُوا في محاولةِ إقناعِ سعد الله بالعُدولِ عنْ بيعِ لحيتِهِ.



فقالَ أحدُهم: لا تسمحْ لأيِّ إنسانٍ أنْ يتحكَّم فيكَ».

وقالَ آخرُ: «إذَا اشترَى لحيتَكَ.. سوفَ ينقلبُ منْ صديقٍ إلَى عدوٍّ».

وقالَ آخرُ: «كيفَ تتخلَّى عنْ جزءٍ منْك.. حتَّى لوْ كانَ مجردَ لحيةٍ؟!».

ظلَّ فتح الله الَّذي كانَ جالسًا أمامَ دكانِهِ يتابعُ الحوارَ دونَ أنْ يتدخلَ فيه، فلمَّا يئسَ الجميعُ منْ إقناعِ سعد الله، صاحَ عمُّ صبحِي قائلاً: «سوفَ تندمُ علَى بيعِ لحيتِك. وعندئذٍ لنْ يهبَّ أحدٌ منَّا لمساعدَتِكَ».. ثُمَّ انصرفَ عنهُ، وانصرفَ معهُ الناسُ، عائدينَ إلَى مشاغلِهم.

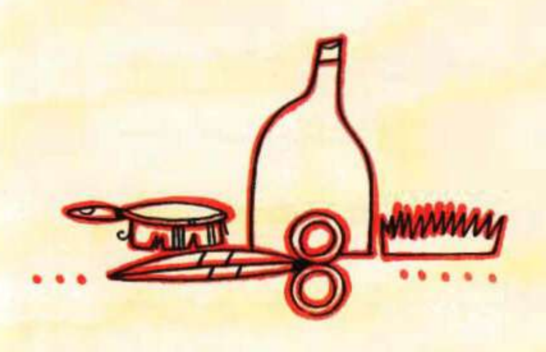
فالتفتَ سعد الله إلَى صديقِهِ وقالَ لهُ: «إنِني لا أزال موافقًا علَى بيعِ لحيتِي.. فهِيَ صفقةٌ رابحةٌ وكسبٌ سهلٌ.. تدفعُ لِي مالاً وتريحُني منَ العنايةِ بهَا».

وهكذَا.. باعَ سعدُ الله لحيتَه لفتح الله مقابلَ مبلغٍ كبيرٍ منَ المالِ.. وكتبَا عقدًا بذلكَ.

قبضَ سعد الله المبلغَ المتفقَ عليهِ.. وعادَ مسرعًا إلى زوجتِهِ ليحكِيَ لهَا مَا حدثَ، ويريهَا مَا ربحَه منْ مالٍ..

فوجئَ سعد الله بزوجتِهِ تبكي وتولولُ وتقولُ لهُ: «كيفَ تبيعُ لحيتَكَ؟! كيفَ تبيعُ جزءًا منكَ؟! كيفَ أعيشُ معكَ بعدَ الآن؟!». وجمعت ثيابهَا وتركَت بيتَهُ وذهبتْ إلَى بيتِ أبيهَا في حارةٍ أخرَى.

لكنَّه لمْ يهتَمَّ بذلكَ، وإنمَا انشغلَ بتوسيع دكانهِ، ثمَّ انتقلَ إلَى بيتٍ كبيرٍ لهُ فناءٌ واسعٌ، وفَرَشَهُ بكلِّ جديدٍ وجميلٍ، واشترَى ثيابًا فاخرةً، وعاشَ أسبوعًا كاملاً في سعادةٍ وهناءٍ. ونسيَ فقرهُ تمامًا.. كأنهُ كانَ غنيًّا منذُ ولدتهُ أمهُ.



ثــمَّ حـــدثَ ذاتَ يـومٍ أنْ كانَ سـعد اللـه واقفًـا فـي دكانِهِ مـعَ أحدِ عملائـهِ، ففوجـئَ بفتـح اللـه يدخـلُ الـدكانَ دونَ اسـتئذانٍ ويقـفُ أمامهُ، ويمشطُ لحيتَه ويشذبُهَا بالمقصِّ.

صاحَ سعد الله: «ماذَا تفعلُ يا رجلُ؟!! ابتعدْ عنْ لحيتِي».

ردَّ فتـح اللـه بهـدوءٍ: «إنَّها ليسـتْ لحيتَـكَ.. لا تنـسَ أنني قدِ اشـتريتُهَا منكَ!».

فسكتَ سعد الله..

منـذُ ذلـك اليـوم.. راحَ فتح الله يتصرفُ في لحيتِهِ، التِي علَى ذقنِ سـعد اللـه كمَـا يحبُّ دونَ مراعاةٍ لصاحبِـهِ.. فكانَ يزورُه فِـي أيِّ وقتٍ منَ الليلِ أو النهـارِ؛ ليـرَى لحيتَهُ ويطمئنَّ عليهَـا. ولاَ يمنعُهُ منْ ذلكَ أنْ يكونَ سـعد الله مشغولاً بعملٍ أو يستقبل ضيوفًا، أوْ حتَّى نائمًا.

وكانَ يقصُّها علَى شكلٍ مربع أوْ مدببٍ أحيانًا وعلَى شكلٍ متعرجٍ أحيانًا أخَرى.. وكانَ يغسلهَا ويمشطهَا كلمَا أرادَ، ويصبُّ عليها مَا يشاءُ منْ أنواعِ العطورِ. ولا يهمهُ إنْ كانَ ذلكَ يزعجُ صاحبَهُ أو يؤذِيه.

وكان سـعد الله يشـتكِي مـنْ تصرفـاتِ فتح اللـه أحيانًا، ويسـتعطفُه أنْ يتركَـهُ فـي حالِـهِ أحيانًا أخرَى، لكـنَّ فتحَ اللـه كانَ يتجاهلُهُ تمامًـا، كأنَّهُ لا يسمعُهُ..

وفِي أحدِ الأيام، وقفَ فتح الله فِي دكانِ سـعد الله، وراحَ يمشـطُ لحيتَهُ ويغسـلُهَا بالمـاءِ والصابونِ، حتَّى بلـلَ لهُ ثيابَهُ، فَضحكَ زبائنُهُ اسـتهزاءً به،

وغـادرُوا الـدكانَ دونَ أنْ يشـترُوا شـيئًا.. فلمْ يتمالَكْ سـعد الله نفسَـهُ منَ الغيظِ، فصاحَ: «أرجوكَ يَافتحَ الله.. اتركْ لحيتِي فِي حالِهَا».

عندئـذٍ فقـطْ، ردَّ فتـح اللـه محـذرًا: «انتبهْ لمَـا تقـولُ.. إنهَا لحيتِـي أنَا. اشـتريتُهَا بمالِي، ومنْ حقِّي أنْ أفعلَ بهَا مَا أشـاءُ».. ثمَّ تابعَ عملَه كأنَّ شـيئًا لمْ يكُنْ.

عادَ سـعد الله إلَـى صمتِهِ.. واسـتمرتْ معاناتُه حتَّى تدهـورتْ أحوالُه، وفقـدَ القـدرةَ علَى العملِ، والرغبـةَ في الطعامِ أو النـوم... وأصبح يجلسُ طولَ يومِهِ أمامَ دكانِهِ سـاهمًا مستسـلمًا لمَا يفعلُه فتح اللَه فِي لحيتِهِ الَّتي لمْ تعُدْ ملكَهُ؛ وإنْ كانتْ لا تزالُ علَى وجهِهِ.

ذاتَ يومٍ، طفَح الكيلُ بسعد الله، فقالَ لفتح الله: «ردَّ لِي لحيتي، وسأردُّ لكَ مَا دفعتَـهُ ثمنًا لهَا».

فأجابَـهُ فتـحُ الله: «لكنِّي لاَ أريـدُ بيعَهَا.. إنهَا ملكِي، ولـنْ أتخلَّى عنهَا أبدًا.. انظرْ كم أصبحتْ جميلةً وأنيقةً منذُ اشتريتُها وداومتُ علَى العنايةِ بهَا».

لجـأ سـعد اللـه إلَـى أصحـابِ الدكاكيـنِ المجـاورةِ وإلَى أهـلِ الحارةِ ليسـاعدُوه فِي التخلصِ منْ تسـلطِ فتـح الله عليهِ وعلَى حياتِـهِ كلِّهَا.. لكنَّ الجميـعَ رفضُـوا التدخلَ بينهُمَا.. قائلينَ إنهُ يسـتحقُّ مَا أصابَـهُ؛ بعدَ أنْ باعَ لحيتَهُ الَّتي علَى وجهِهِ.

وقـالَ لـهُ بعضهُـم: «لقد نصحنـاكَ وحذرنـاكَ فلمْ تسـتمعْ لنَـا، فتحملْ وحدكَ نتيجةَ عملكَ».

اسـتمرتْ أحـوالُ سـعد الله فِـي التدهورِ.. حتَّـى بلغَ درجةً مـنَ البؤسِ والتعاسـةِ ليـسَ بعدَها درجةٌ.. فانطلقَ ذاتَ صبـاحٍ إلَى بيتِ فتح الله، وقالَ

لـهُ بتصميـمٍ: «ردَّ لِـي لحيتـي الآنَ. وسـأدفعُ لـكَ مقابلَهَـا كلَّ مَـا تريدُ منْ مالٍ».

وبعـدَ مباحثـاتٍ ومفاوضـاتٍ.. وافـق فتـح اللـه أنْ يـردَّ إلَى سـعد الله لحيتَهُ.. علَى أنْ يدفعَ لهُ سعد الله أربعةَ أضعافِ المبلغِ الَّذي كانَ قدْ باعَهَا بهِ.

وهكـذَا.. باعَ سـعد الله دكانَـهُ، وبيتَهُ، ومَا فيهمَا مْن أثـاثٍ وبضائعَ، كمَا بـاعَ ثيابَـهُ الفاخرةَ كلَّها.. وانتقلَ إلى حجرةٍ صغيرةٍ فِي نفسِ الحارةِ، وعملَ حمالاً فِي السـوقِ، فاشـتغلَ أيامًا وليالِيَ دونَ نومٍ أوْ طعامٍ كافٍ، وقدْ صممَ أنْ يتحـررَ منْ تسـلطِ فتـح الله عليهِ وعلـى لحيتِهِ.. حتَّى استطاعَ أخيرًا أنْ يجمعَ المبلغَ المطلوبَ، فدفعَهُ إلَى فتح الله، واستردَّ لحيتَهُ.

أمَّا أعجبُ مَا حدثَ بعدَ ذلكَ، فهو أنَّ سعدَ الله عادَ إلَى حجرتِهِ البائسةِ ذاتَ ليلـةٍ، وقـدْ أنهكَهُ العملُ وقلةُ الغـذاءِ، فوجدَ زوجتَهُ فـي انتظَارِه، وقدْ أعدتْ لهُ طعامًا ممَّا كسبتْهُ من مساعدتِهَا لجيرانِهَا فِي خبزِ الفطائرِ.

❧ ❧ ❧


قصصٌ صغيرةٌ

الجُبْن الذي أُريدُه



عادَ أبو سعيدٍ من دكانِهِ بعدَ صلاةِ العصرِ، وجلسَ في مضيفَتِهِ، ونادَى ابنَهُ الوحيدَ، سعيدًا، وقالَ له: «الآنَ، وقد أصبحتَ رجلًا.. فقد آنَ الأوانُ لأنْ تعتمِدَ على نفسِكَ وتَكْسبَ رزقَكَ من عرقِ جَبينكَ».

كانَ سعيدٌ فتًى مدلَّلًا؛ لا يريدُ أن يَشُقَّ على نفسِهِ، فقالَ لأبيهِ: «إنني مازلتُ في السابعةَ عشرةَ من عُمْري.. فأرجُو أن تُمْهِلَني بعضَ الوقتِ لأفكرَ في مستقبلِي

وأبحثَ عن عملٍ يناسبُني».

قـالَ الأبُ بحـزم: «مضَـى وقـتُ التفكيـر، وحانَ وقـتُ التدبير؛ لذلكَ أريدُ منـكَ أنْ تأتِيَني بجُنَيْهٍ ذهبيٍّ كامـلٍ فـي نهايـةِ كلِّ شـهرٍ.. دليـلًا علـى كَـدِّك واجتهادِك».

قالَ سعيدٌ: «أمرُكَ مطاعٌ يا أبي».

لكنـه كانَ فتًـى مُدَلَّـلًا، غيـرَ معتـادٍ علـى الكـدِّ والاجتهـادِ؛ فلـمْ يبحـثْ عـن عملٍ، وإنَّمـا كانَ يخـرجُ من البيـتِ كلَّ صباحٍ، ويمضِي يومَهُ برفقَةِ أصحابِه المدلَّلِينَ مثلَه.

فـي نهايةِ الشـهرِ الأولِ، ذهبَ سـعيدٌ إلى أمِّه وقالَ لهـا: «أمِّي، يا أمِّي.. إنني في أشَدِّ الحاجةِ إلى جُنيهٍ ذهبيٍّ» فأعطَتْهُ أمُّهُ ما طلبَ.

ذهبَ سعيدٌ إلى أبيهِ وقدَّمَ له الجُنيهَ الذَّهبيَّ..

أمسـكَ الأبُ الجُنَيْـهَ، وتأملَـهُ قليلًا، ثـم قَلَّبَه بيـنَ أصابعِهِ، ثـم ألقاهُ منَ النافذةِ المفتوحةِ وهو يقولُ: «ليسَ هذا الجنيهَ الذي أريدُهُ».

خرجَ سعيدٌ متعجبًا، دونَ أن ينطِقَ بكلمةٍ واحدةٍ.

مـرَّ شـهرٌ آخـرُ.. فكان سـعيدٌ يحـرصُ علَى أن تطـولَ مدةُ غيابِـهِ خارجَ البيتِ، ليبدوَ كأنَّهُ يعملُ باجتهادٍ.

فـي نهايـةِ الشـهرِ الثانـي، ذهبَ سـعيدٌ إلـى جَدَّتِهِ وقـالَ لهـا: «جدتي، يا جدتي.. إنني في أَشَدِّ الحاجةِ إلى جُنَيْهٍ ذهبيٍّ».. فأعطتْهُ جَدَّتهُ ما طلبَ.

ذهبَ سعيدٌ إلى أبيهِ وقَدَّمَ له الجُنَيْهَ الذهبيَّ..

.. أمسـكَ الأبُ الجُنَيْهَ، وتأملَهُ، كما فعلَ في الشـهرِ السابقِ، ثم قلبَهُ بين أصابعِـهِ، ثم ألقاهُ منَ النافذةِ المفتوحـةِ وهو يقولُ: «ليس هذا الجُنَيْهَ الذي أريدُهُ».

خرجَ سعيدٌ وهو أكثرُ تعجبًا، دون أن يَنْطِقَ بكلمةٍ واحدةٍ.

ومـرَّ الشـهرُ الثالـثُ.. فكانَ سـعيدٌ يخـرجُ كلَّ صباحٍ، ولا يعـودُ إلا في المساءِ ليبدوَ أكثرَ اجتهادًا.

في نهايةِ الشـهرِ، ذهبَ سـعيدٌ إلى جَدِّهِ وقالَ له: «جدي، يا جدي.. إنني في أشدِّ الحاجةِ إلى جُنَيْهٍ ذهبيٍّ» فأعطاهُ جَدُّهُ ما طلبَ.

ذهبَ سعيدٌ إلى أبيهِ وقَدَّمَ لهُ الجُنَيْهَ.

وكما حدثَ في الشـهرينِ السـابقينِ أمسـكَ الأبُ بالجنيْهِ، وتأملَهُ قليلًا، ثـم قَلَّبَـهُ بين أصابِعِهِ، ثم ألقاهُ مـنَ النافذةِ المفتوحةِ وهـو يقولُ: «ليس هذا الجُنَيْهَ الذي أريدُهُ».

وكما حدثَ في الشهرينِ السابقينِ، خرجَ سعيدٌ دونَ أن ينطِقَ بكلمةٍ.

فَكَّـرَ سـعيدٌ وفَكَّرَ.. ثم قالَ لنفسِـهِ: «لا يمكنُني أن أطلـبَ نقودًا من أمي أو جدتي أو جدي.. فماذا أفعلُ؟ لابدَّ أنْ أعملَ».

في اليومِ التالِي، ذهبَ سـعيدٌ إلى السـوقِ، واشْـتَغَلَ هناك.. فكان يخرجُ كلَّ يـوم بعـدَ صلاةِ الفجـرِ، ويرجعُ إلى بيتِـهِ بعدَ صلاةِ المغـربِ، كما كان يَفعلُ من قبلُ، لكنه في ذلك الشهرِ، كان يعملُ طولَ الوقتِ.

مرَّ شـهرٌ رابعٌ، وقبضَ سـعيدٌ أجرَهُ جُنَيْهًا ذهبيًّا كاملًا.. فعادَ مسـرعًا إلى أبيهِ، وقدمَهُ له.

أمسـكَ الأبُ الجُنَيْهَ، كما كانَ يفعلُ كلَّ شـهرٍ، وتأملَهُ قليلًا، ثم قَلَّبَهُ بين أصابعِهِ..

.. ولمَّا هَمَّ بإلقائهِ، أسـرعَ سـعيدٌ ووقـفَ أمامَ النافذَةِ وهـو يقولُ بلهفَةٍ: «أرجوكَ يا أبي.. لا تُلْقِهِ؛ إنه من عرقِ جبينِي».

ابتسـمَ الأبُ، وقـالَ لابنِهِ: «هذا هو الجُنَيْهُ الذي أريـدُهُ.. الذي من عرقِ جَبينِكَ».

الأصواتُ الثلاثُ

كانَ أبـو حامدٍ راعيًا فقيرًا، يعيـشُ مع زوجتِه في بيتٍ صغيرٍ منَ الحجرِ، فـي قريـةٍ تَبْعُدُ قليلًا عنِ العريـشِ.. وكانَ يجمعُ أغنامَ أهلِ القريةِ كلَّ صباحٍ ويخرجُ بها إلى التلالِ، فيقضِي يومَهُ في تَـتَـبُّعِها وحراسَتِها.



وكان يَنْصِـبُ الفِخـاخَ لصيـدِ الطيورِ، لكنه نـادرًا ما كان يصطادُ شـيئًا.. فيعـودُ إلـى بيتِهِ في المسـاءِ فلا يجـدُ طعامًـا إلا الخُبْزَ والدُقَّـةَ، فيأكلُ وهو يستمعُ إلى ثرثرةِ زوجتِهِ وحكاياتِها.. ثم يحمَدُ ربَّهُ على ما رزقَهُ، وينامُ.

ذاتَ صبـاحٍ، وجدَ أبو حامدٍ طائـرًا صغيرَ الحجم غريبَ اللونِ عالقًا في أحدِ الفخاخِ. ففرِحَ به وراحَ يُمنِّي نفسَـهُ بعشـاءٍ شـهيٍّ.. لكنه سَـمِعَ صوتَ أنينٍ خافتٍ يصدرُ عنِ الطائرِ كأنه يقولُ: «أرجوكَ.. حَرِّرْني من الأسْـرِ أيُّها الرجلُ الطيبُ».

رقَّ أبـو حامـدٍ لحالِ الطائـرِ، وفكَّرَ أن يُطْلِقَ سـراحَهُ.. ثم تذكـرَ زوجتَهُ المسـكينةَ التـي لم تـأكلْ غيرَ الخبزِ والدُقَّةِ منذُ شـهورٍ، فتـردَّدَ قليلًا.. لكنه عـادَ وسـمِعَ أنينَ الطائـرِ كأنَّهُ يقولُ: «إننـي صغيرُ الحجـمِ ولا أكفيكَ أنتَ وزوجتَكَ».

غلبتْ شـفقةُ أبي حامدٍ على تـردُّدِهِ، فخلَّص الطائرَ منَ الفخِّ وتركَهُ يطيرُ حـرًّا وهـو يقولُ له: «انطلقْ أيهـا الصغيرُ إلى أمِّكَ، فلابـد أنها تبحثُ عنك في كلِّ مكانٍ».

طارَ الطائرُ ورفرفَ بجناحَيْهِ، ثم حطَّ على غصنٍ قريبٍ.. وسمِعَ أبو حامدٍ صوتًـا أقـلَّ حزنًـا يقولُ له: «شـكرًا أيُّها الرجـلُ الطيبُ.. سـأحقِّقُ لك ثلاثَ أمنيـاتٍ، مهمـا كانَ نوعُها، هديةً لك مقابلَ حريَّتـي.. ولكن كُنْ حريصًا فيما تتمناهُ؛ حتى لا تضيعَ أمنياتُك في الهواءِ.. أو تكونَ سببًا في تعاستِكَ».

حَلَّقَ الطائرُ في الفضاءِ، وتركَهُ حائرًا متعجبًا.

عـادَ أبـو حامدٍ إلى بيتِـهِ في المسـاءِ، وروَى ما حدثَ لزوجتـهِ.. فغضِبَتْ وقالـتْ لـه: «يـا لكَ من رجلٍ سـاذجٍ! كيـفَ تصـدِّقُ أن طائرًا يتحـدثُ بلغةِ الإنسانِ، وأنه سوفَ يحقِّقُ لكَ أمانيكَ؟!».

ثـم قامتْ تُعِـدُّ المائدةَ وهي تُردِّدُ باسـتنكارٍ: «لقد ضاعَ منا عشاءٌ شهيٌّ.. كيفَ تصدِّقُ أمرًا كهذا؟!».

جلـسَ أبـو حامدٍ إلى المائـدةِ، فلمْ يجـدْ إلا خبزًا ودُقَّـةً.. فقـالَ: «الحمـدُ للـهِ على هذا الطعـامِ؟! وإن كنتُ أتمنَّى أن آكلَ دجاجًا محشوًّا بالأُرزِ والزَّبيبِ».

وفـي لحظةٍ واحدةٍ، رأَى الزوجـانِ أمامَهُما صحنًا كبيرًا مملوءًا بالدجاجِ المحشُوِّ، يتوسطُ المائدةَ..

فَـرِحَ أبـو حامدٍ بالطعامِ وأقبلَ يأكلُ بشـهيةٍ، ويدعُو زوجتَهُ لمشـاركَتِه.. لكـنَّ ذلـك زادَ مـن غضبِهـا، فانطلقَـتْ تلومُـهُ قائلـةً: «ها أنتَ قـد أضعْتَ إحدَى الأمنياتِ الغاليةِ بهذا الطلبِ السخيفِ».

أمضـتْ أمُّ حامـدٍ ليلتَها وصباحَ يومِها التالِي وهي تُعيدُ وتُكرِّرُ: «كان منَ المفترضِ أنْ تتروَّى؛ حتى لا تُبَدِّدَ هديَّةَ الطائرِ.. سـتنتهِي الأمنياتُ الثلاثُ دونَ أنْ نحْصُلَ على ما نحتاجُ إليه فعلاً!!».

وكلمـا رأتْ زوجَها صامتًـا، ازدادَ غيظُها، وزادَتْ في لومِهِ وتأنيبِهِ؛ حتى ظـنَّ أبـو حامدٍ أنها لن تتوقـفَ أبدًا، فصاحَ بها: «ليتَـكِ تفقدينَ القدرةَ على الكلامِ؛ حتى أعيشَ في سلامٍ».

وفـي الحالِ، فقـدَتْ أمُّ حامدٍ قدرتَها على الـكلامِ، وراحَتْ تُحَرِّكُ فَمَها دونَ أنْ يَصْـدُرَ عنهـا صـوتٌ.. فابتسـمَ أبو حامدٍ في سـعادةٍ وقالَ لنفسِـهِ: «سـأرتاحُ أخيرًا من ثرثرَتِها المزعجَةِ».. ثم خرجَ إلى عملِهِ، دونَ أن يُجاهرَ بما خطرَ ببالِهِ؛ حتى لا يُؤذيَ مشاعِرَها.

مـرتِ الأيـامُ، وأمُّ حامدٍ صامتةٌ لا تتكلمُ، وأبو حامـدٍ يخرجُ في الصباحِ ويعـودُ في المسـاءِ كعادَتِهِ، فيأكلُ وينامُ في هـدوءٍ.. ويُفَكِّرُ طولَ الوقتِ في الأمنيـةِ الباقيةِ.. كان يَوَدُّ أن يستشـيرَ زوجتَهُ فـي الأمرِ.. لكنها تجلسُ أمامَهُ صامتَةً لا تَنْطِقُ.

ذاتَ مسـاءٍ، عـادَ أبو حامدٍ من عملِهِ، فقدمَتْ له زوجَتُـهُ طعامَهُ المعتادَ، وجلسَـا يـأكلانِ فـي صمتٍ.. وبعـدَ فترةٍ، رفعَ أبو حامدٍ رأسَـهُ عـن طعامِهِ وقالَ لزوجَتِهِ: «يا أمَّ حامدٍ.. لقد فكرْتُ كثيرًا في أمرِنا وأمرِ الأمنيةِ الباقيةِ.. كنـتُ متـرددًا بيـن أن أتمنَّى بيتًـا كبيرًا نعيشُ فيـه، أو أرضًا خصبـةً نزرعُها، أو أغنامًـا كثِيـرةً نرعَاها.. لكني وجـدتُ أنَّ الأمنيةَ الوحيـدةَ التي تحقِّقُ لنا السـعادةَ والهنـاءَ هـي أن تعودَ لـكِ القدرةُ علـى الكلامِ.. فهذه هـي أمنيتِي الثالثةُ؛ لأنني أحبُّكِ وأَفْتَقِدُ حديثَكِ وثرثرتَكِ».

وفـي الحالِ.. عـادتْ قدرةُ الزوجةِ على الكلامِ.. فراحـتْ تُثَرْثِرُ وتروِي له كلَّ ما لم تتمكَّنْ من حكايتِهِ أيامَ صمتِها.. حتى انتهتْ من رواياتِها..

..عـادتْ وتذكرتِ الطائرَ والأمنياتِ الثلاثَ.. فانطلقَتْ تعاتِبُ أبا حامدٍ وتلومُـهُ؛ لأنـه أضاعَ هديـةَ الطائرِ في أمنياتٍ تافهةٍ لا نفـعَ فيها.. بينما تمدَّدَ أبو حامدٍ وأغمَضَ عينَيْهِ، وراحَ يستمعُ إليها مبتسمًا.. مرتاحَ البالِ.

جبريل

منذُ زمنٍ بعيدٍ، تُوُفِّيَ شيخُ قبيلَةٍ من قبائلِ النوبـةِ، تاركًا ابنًا وحيدًا فـي الخامسـةِ مـن عمـرِهِ، اسـمُهُ جبريلُ. فتولَّى الحاجُّ أحمدُ -عمُّ جبريـلَ- قيادةَ القبيلـةِ، كما تولَّى رعايةَ جبريلَ؛ حتـى يؤهلَهُ لتولِّي المسئوليةِ من بعدِهِ.



كانـتْ أمُّ جبريـلَ سيـدةً رشـيدةً حازمـةً.. بعثَـتِ ابنَها إلى الكُتَّابِ في نفسِ السـنةِ التي تُوفِّي فيهـا أبوهُ.. ثـم كانَتْ تُرسلُه بعد ذلـكَ إلـى المعلميـنَ والشـيوخِ ليـدرسَ الحكمـةَ وعلـومَ الديـنِ والدنيا.. وإلـى أصحابِ الحرفِ

والمهنِ ليتعلَّمَ فنونَها، وإلى السوقِ ليعملَ في التجارةِ، وإلى الخلاءِ ليرعَى الأغنامَ، وإلى رحلاتِ الصيدِ ليتعلمَ الرمايةَ؛ حتى يلمَّ بكلِّ أحوالِ القبيلةِ.. كما اعتادَ عمُّه الحاج أحمد أن يُجْلِسَه معه في مجالسِه ليتعلَّمَ السياسةَ ومعاملةَ الناسِ.

لما بلغَ جبريلُ الرابعةَ عشرةَ من عمرِه، صارَ عمُّه أحمدُ يشرحُ له قضايَا الناسِ ومشكلاتِهم، ويرسلُه في سفاراتٍ إلى القبائلِ الأخرَى، ويسألُه عن رأيِه في الأحداثِ التي تَجري أمامَه.. وكانَ ينصحُهُ دائمًا بأنْ يُحسِنَ اختيارَ أصدقائِه ومعاونِيه، ويحذِّره منَ الضعفاءِ والمنافقينَ.

كانَ جبريلُ يعودُ لدارِه فيروي لأمِّه أحداثَ يومِه، ويحدثُها بحيرةٍ قائلاً: «كلُّ من يحضرونَ مجلسَ عمِّي يتحدثونَ بأحسنِ الأقوالِ، ويبدُو علَيْهم المهارةُ والصلاحُ.. فكيفَ أفرِّقُ بينَ الناسِ؟ وكيفَ أعرفُ أصحابَ الكرامةِ والكفاءةِ والإخلاصِ من سواهُم؟!».

ذاتَ مرةٍ قالَتْ له أمُّه: «يا ولدِي.. إننا نعرِفُ الناسَ من سلوكِهم وليسَ من أقوالِهِم.. وسأدلُّكَ على اختبارٍ تختبرُ به أصدقاءَكَ وتكتشفُ بنفسِك الفروقَ بين طبائِعِهم.. ادعُ أصدقاءَك، كلاً على حدةٍ، إلى الطعامِ. ولا تضعْ على المائدةِ إلا ثلاثَ بيضاتٍ مسلوقةٍ.. ثم انظرْ كيفَ يتصرفُ كلٌّ منهم».

في اليومِ الأولِ، دعَا جبريلُ صديقَه «منصور» وقدَّمَ له ثلاثَ بيضاتٍ فقَط.. فنظرَ منصور إلى المائدةِ، قالَ: «أهذا كلُّ ما لديكَ لتقدمَه لي؟! لقد أخطأتُ إذ قبلتُ دعوتَك بدلاً من دعوةِ ابنِ شيخِ التجارِ».. ثم انصرفَ غاضبًا دونَ أن يأكلَ.



قـالَ جبريـلُ لنفسـهِ: «هـذا الفتَـى لم يصادِقْني إلا لمصلحةٍ ماديةٍ عاجلةٍ».

فـي اليومِ الثاني، دعَا عثمانَ ابنَ شـيخِ التجـارِ، وقدَّمَ لـه الطعامَ نفسَـهُ. فجلسَ عثمـانُ، ووضعَ أمامَـه البيضاتِ الثلاث، وقشَّـرها، وأكلَهـا كلَّهـا دونَ أن يتـركَ لجبريـلَ نصيبًـا.. ثم قالَ: «أظـنُّ أنك أعددْتَ هذا الطعـامَ لي وحدي؛ لأنه بالكادِ يكفيني!».

حـدَّثَ جبريـلُ نفسَـه قائـلًا: «هـذا الصديـقُ لا يفكـرُ إلا فـي نفسِـه، ولا يحسبُ حسابًا لغيرِه».

فـي اليـومِ الثالـثِ، دعـا صديقَـه عـوض الـذي كانَ يشـاركُه فـي رعْـيِ الأغنـام.. فلمَا جلسَـا إلـى المائدةِ، تناولَ عـوض بيضتيـنِ فأكلَهما، وتركَ الثالثـةَ لَمضيفـهِ.. فلما رحلَ، فكَّر جبريـلُ قائلًا: «أمَّا هـذا الصديقُ فيتذكرُ أصدقاءَهُ، لكنَّه يفضِّلُ نفسَه عليهم».

فـي اليـومِ الرابـع، عادَ جبريـلُ مصطحبًا سـلمانَ الذي كانَ أبوهُ شـريكًا لعمِّـه أحمـدَ فـي حقـلِ النخيلِ. وجلسَـا يأكلانِ.. فأسـرعَ سـلمانُ وقشَّـر البيضاتِ الثلاث، وقدَّمَها لجبريلَ قائلًا: «تفضلْ أيُّها الصديقُ.. فأنتَ أحقُّ منـي بالطعـامِ، ولابدَّ منَ العنايةِ بصحتِكَ، فأمامَك مسـئولياتٌ عِظامٌ ومهامٌّ جِسام».

علَّقَ جبريلُ في الحالِ: «أمَّا هذا فمنافقٌ خالصٌ.. منَ السهلِ اكتشافُه».

فـي اليـومِ الخامسِ، دعَا جبريلُ صديقًا جديدًا اسـمُهُ رمضـانُ، وقدَّم له

الطعـامَ المعهـودَ، فتنـاولَ رمضـانُ بيضةً واحـدةً، ووضـعَ الأُخْرَيَيْـنِ أمامَ مضيفِه قائلاً: «تفضَّلْهما أنتَ.. فأنا لا أحتاجُ إلا لواحدةٍ».

قالَ جبريلُ: «هذا صديقٌ طيبٌ، لكنه يتركُ بعضَ حقِّه طلبًا للسلامةِ».

في اليوم السـادسِ، دعَا صديقًا تعرَّفَ إليه في السـوقِ اسـمه خضر. فلما جلسـا إلى المائدةِ وراحا يتحدثانِ، تناولَ الضيفُ البيضاتِ الثلاث وقشَّرها، وقسَّـم إحداها.. فوضـعَ بيضةً ونصفَ البيضةِ أمامَ جبريـلَ، ومِثلَهما أمامَهُ.. وراحَ يأكلُ وهو يتابعُ حديثَهُ.

أعجبَ جبريلُ بصديقهِ خضر، وفرِحَ به فرحًا شـديدًا، وقالَ لنفسهِ: «هذا هو الصديقُ الحقُّ؛ فهو يعرِفُ حقَّه، فيأخذهُ كاملًا، ولا يتجاوزُه إلى حقوقِ الآخرينَ».

فـي اليـومِ السـابعِ، دخـلَ جبريـلُ حجرةَ أمِّـه، فحيَّاهـا وقالَ لهـا: «لقد تعلَّمـتُ فـي الأسـبوعِ الماضِـي كيـفَ أفرقُ بيـنَ النـاسِ بسـلوكِهم وليسَ بأقوالِهم.. وأرجُو أن ينفعَني ذلك عندما يحينُ دورِي في تحمُّلِ مسئولياتِ القبيلةِ.. فشكرًا لكِ يا أمِّي».

ثم غادرَ دارَه، وهو أكثرُ ثقةً بنفسِه، متجهًا إلى مجلسِ عمِّه.

نبيه .. النبيه

كانَ نبيه غلامًا في الثانيةَ عشـرةَ من عمرِه، وكان مشهورًا بالغفلةِ والحماقةِ؛ لذلكَ كانَ كلُّ من يعرفُه يتعجبُ منِ اسمِه الذي لا يناسبُه إطلاقًا.

اعتادَ نبيه أنْ يمرَّ على متجرِ والدِه فـي طريـقِ عودتـهِ مـن المدرسـةِ فيسـاعدَه فـي عملـهِ ويقضـيَ معَـه بعضَ الوقتِ.



فـي يـومٍ من أيـام رمضانَ، قـالَ له والـدُه: «كلَّ عام وأنـتَ بخيرٍ يا نبيه.. اقتـربَ عيـدُ الفطـرِ. وهذِه العلبـةُ بهَا كعـكُ العيـدِ، خذْهَـا معـكَ وأعطِهـا لأمِّك».

انشـغلَ الأبُ بأعمالهِ.. ففتحَ نبيه العُلبةَ وحملَ الكعكَ بيديهِ، وسارَ به إلى البيتِ.

فلمـا رأتْهُ أمُّه صاحَتْ به: «ما هذا يا نبيه؟! لا يصحُّ أن تحملَ الطعامَ بيديكَ. كانَ منَ الواجبِ أن تضعَه في صحنٍ وتغطيَهُ؛ حتى يظلَّ نظيفًا».

اعتـذرَ نبيـه لأمِّه ووعَدَها بـأنْ ينفـذَ تعليماتِها بعدَ ذلك بكلِّ دقةٍ.

بعدَ العيدِ بأيامٍ، طلبَ إليه والدُهُ أن يأخذَ معَه إلى البيتِ قطةً صغيرةً، وقالَ له: «إننا نحتاجُ إليها لتخلصَنا منَ الفئرانِ التي ظهرتْ في الكَرارِ» (وهوَ مخزنُ المؤنِ).

فوضـعَ نبيـه القطـةَ فـي صحنٍ وغطَّاهـا ثم حملَهـا معَه إلـى البيتِ وهو مطمئنٌّ إلى أنه ينفذُ تعليماتِ أمِّه.

قالَـتْ له أمُّه بحسـرةٍ: «حرامٌ عليك يا نبيـه.. كادَتِ القطةُ تختنقُ من هذا الغطاءِ، هذهِ الكائناتُ الصغيرةُ الضعيفةُ نحملُها على أكتافِنا».

اقتـربَ عيـدُ الأضحَى فطلبَ إليـه والدهُ أنْ يأخذَ معَه إلـى البيتِ خروفًا كبيرًا.

حمـلَ نبيـه الخـروفَ على كتفهِ وسـارَ بهِ إلـى البيتِ، فوصـلَ متعبًا وقدِ اتسختْ ملابسُه كلُّها.

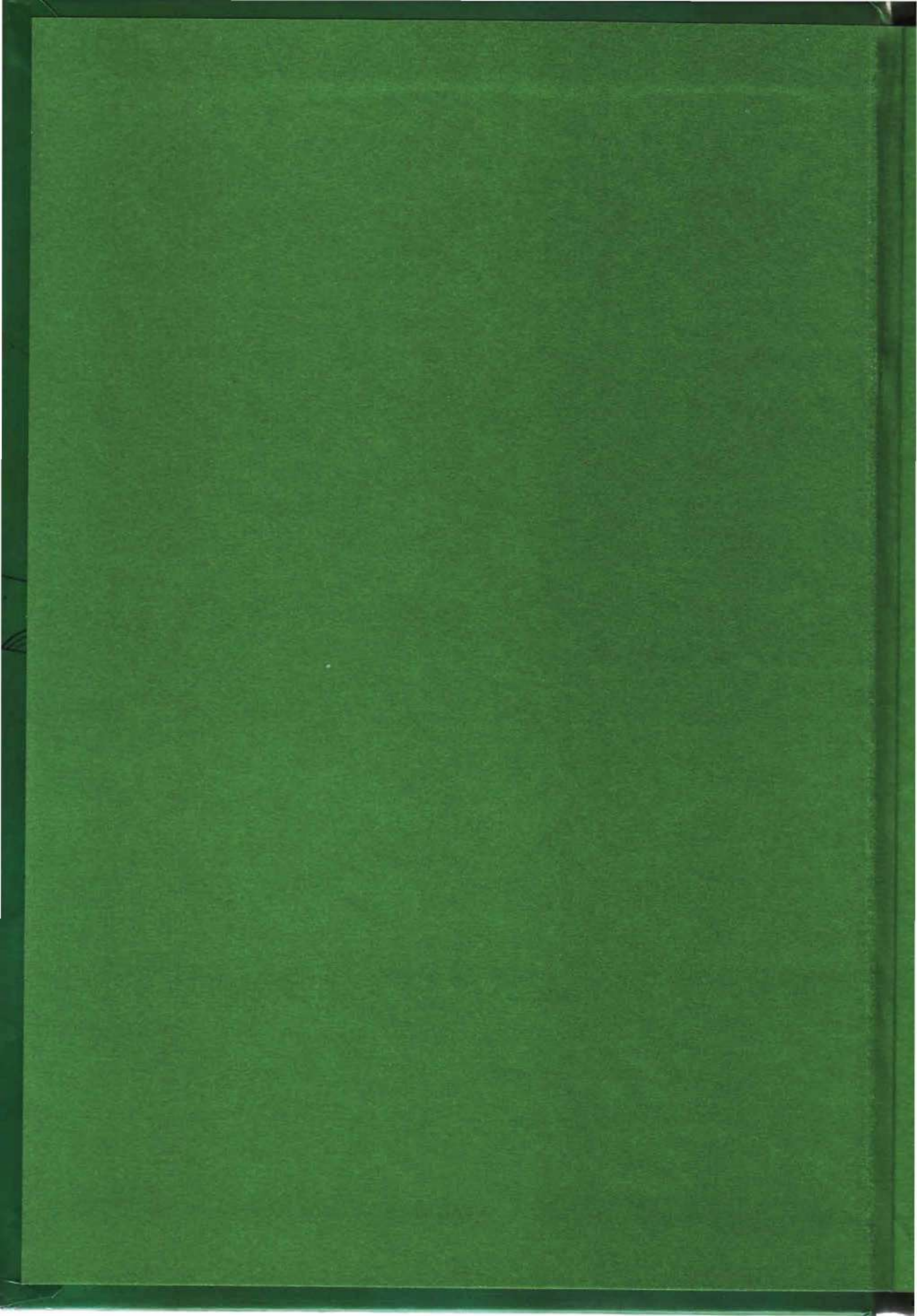
غضبَـتْ أمُّـه وقالَـتْ له: «هذا أمـرٌ غيرُ معقـولٍ يا نبيه، القطـطُ هي التي تحملُها على كتفِكَ، أمَّا الخروفُ فتربطُه بحبلٍ وتسحبُه وراءَكَ».

فـي اليومِ السـابقِ لوقفةِ العيدِ، أعطاهُ والدُهُ شـالًا جميـلًا وقالَ له: «خذْ هذا الشالَ وقدِّمْه هديةً منك لأمِّك كي ترتديَه يومَ العيدِ».

فـرِحَ نبيـه بالهديـةِ، لكنه لم يسـرعْ إلـى البيـتِ، وإنما أخرجَ الشـالَ من كيسِـه، وربطَه بحبلٍ وسـحبَه خلفَه طولَ الطريقِ، وهو راضٍ عن نفسِـه لأنه تذكَّر توجيهاتِ أمِّه.

وَصلَ نبيه إلى البيتِ، وأسرعَ إلى أمِّه.. وقدَّمَ لها الشالَ، وتمنَّى لها عيدًا سعيدًا!!





هذه مجموعة من الحكايات سمعت بعضها في طفولتي من جدتي ومن في مكانتها، عندما كنا نزور أهل جدتي في ملوي بالصعيد.. فقد كانوا لا يرفضون لنا طلبَ روايةِ الحكايات مهما طلبنا تكرارها صباحًا ومساء، وكل يوم تقريبًا.

والبعض الآخر سمعته من أمي، عندما كنا نجتمع حولها ليلًا في غرفتها، وكثيرًا ما كان يجتمع معنا أبناء الضيوف والجيران.

وكانت هذه الحكايات مصدرًا ثقافيًّا غنيًّا في حياتي وتركت أثرًا عظيمًا في وجداني؛ لأني سمعتها وحفظتها قبل أن أتعرف على التراث الشعبي الغربي.. فقد سمعت عن لولية، مثلًا، قبل أن أسمع عن رابونزيل الغربية.

أرجو أن يجد أحفادي في هذه الحكايات مصدرًا لتشكيل وجدانهم وتعريفهم بتراثنا القصصي.







www.nahdetmisr.com